

روائع القصص العالمية

الحديقة السريّة

فرانسيس بيرنيت

أكاديميا

روائع القصص العالمية

الحديقة السريّة

إعداد
ماغالي الحاج



المحتويات

- 4 ماري تسافر إلى إنكلترا
- 8 ماري تلتقي مارتا
- 12 ماري تسمع بكاءً
- 16 ماري تعثر على المفتاح
- 20 ماري وديكون يهتمان بالحديقة
- 24 ماري تلتقي كولن
- 30 كولن يلتقي ديكون
- 36 كولن يزور الحديقة السريّة
- 38 كولن يتعافى
- 42 كولن يلتقي والده

الحديقة السريّة

حقوق الطبع العربية © أكاديميا إنترناشيونال، 2017

ISBN: 978-9953-37-941-8

جميع الحقوق محفوظة
All Rights Reserved

الناشر

Academia International

Verdun, Rashid Karamah St.
Byblos Bank Bldg., 8th Fl
P.O. Box 113-6669
Beirut 1103 2140 Lebanon

أكاديميا إنترناشيونال

فردان، شارع رشيد كرامي
بناية بنك بيلوس، ط8
ص.ب 113-6669
بيروت 1103 2140 لبنان

هاتف 800832 - 862905 - 800811 (+961 1)

فاكس 805478 (+961 1)

بريد إلكتروني academia@dm.net.lb

info@kitabalarabi.com

www.academiainternational.com

www.kitabalarabi.com

أكاديميا هي العلامة التجارية لأكاديميا إنترناشيونال ش.م.ل.
ACADEMIA is the Trade Mark of Academia International S.A.L.

ماري تسافر إلى إنكلترا

وَصَلَتْ ماري لينوكس إلى منزلِ خالِها في قَصْرِ ميسلثوايت، ولاحظ الجميع أنها فظةٌ وبنسجةٌ إلى حدٍّ ما. وهذا صحيحٌ لأن تعابير الغضبِ والمرارة تظهرُ على وجهها. وكانت نحيلةً وشعرها ناعماً وأشقر. أما لونُ بشرتها فكان شاحباً بسبب الأمراض الكثيرة. وُلِدَتْ ماري في الهند. وكان والدها موظفاً لدى الحكومة البريطانية. ولم يكن أهلها يُحبونها فترغرت على أيدي الخدم واعتادت على وجود أشخاصٍ دائماً في خدمتها، حتى في ارتداء الملابس. فأمست فتاةً متعجرفةً وأنانيةً. ولكن في يومٍ من الأيام، انقلبت الأحوالُ وانتشر وباءُ الكوليرا وتوفي والداها. بقيت ماري وحدها إلى أن عُثِرَ عليها ضابطٌ بريطانيٌّ وأخذها عند القسِّ بانتظار إيجاد عائلتها.

مرَّ بعضُ الوقتِ واكتشفت ماري أنه سيتم إرسالها إلى كنفِ خالِها، السيد أرشيبالد كرافن، في قصرِ ميسلثوايت في منطقتِ يوركشير في إنكلترا.

ذهبت ماري إذاً برفقةِ زوجةِ الضابط التي كانت تأخذُ أولادها إلى مدرسةٍ داخليةٍ في لندن. وهناك، سلّمت إلى السيدة ميدلوك، مُدبِّرةِ منزلِ السيد كرافن. وكانت امرأةً قويةً، ذات خدينِ حمراوينِ وعينين سوداوينِ مُشرقتين. لم تستلطفها ماري أبداً، وكان واضحاً أن السيدة ميدلوك رأت في ماري فتاةً عاديةً جداً.

في اليوم التالي، توجهت الاثنتان إلى يوركشير. تعبت السيدة ميدلوك من النظر إلى تلك الطفلة الغريبة الهادئة والمُدللة. فبدأت تحدثها عن قصرِ ميسلثوايت. فهو بيتٌ كئيبٌ يعودُ تاريخُ بنائه إلى ستمئة سنة، ويتألف من حوالي مئة غرفةٍ مع الكثير من الأثاث والأشياء الجميلة، وأمامه حدائقٌ عديدة. وتمتدُّ خلفه أرضٌ بؤرٌ واسعة. أما خالها، الأحدبُ،





فسألت ماري: «أهذا بحر؟»

أجابتها السيدة ميدلوك: «كلاً ليس بحراً، ولا جبلاً ولا حقلاً. إنها مجرد أميالٍ شاسعةٍ من الأراضي القفر والمهجورة إلا من الشجيرات الشائكة ونباتات الأجراس. لا تعيش هنا سوى الأغنام والخيول البرية.»

وبعد سفرٍ طويل، وصلتِ امرأتان إلى القصر الريفي المبني حول باحةٍ من الحجر. بابٌ من خشب السنديان يُفتح على صالةٍ ضخمةٍ علقت على جدرانها صورٌ ووجوهٌ في بدلاتٍ مُدرّعة. وقفت ماري ضائعةً مُستغربة.

ألقي عليها كبير الخدم، السيد بيتشر، التحيّة. وكان رجلاً طاعناً في السنّ ونحيفاً. ثمّ أعلم السيدة ميدلوك بأن السيد كرافن لا يود أن يرى ماري أو أن يُزعجها أحد، فهو سيذهب إلى لندن في صباح يوم الغد. قادت السيدة ميدلوك عندئذٍ ماري إلى جناحها في القصر. وأوقدت النار وقدمت العشاء.

وقبل أن تخرج، قالت السيدة ميدلوك بلهجةٍ شديدة: «إبقِي في جناحك ولا تذهبي إلى أي مكانٍ آخر. لا تنسي ذلك!»



فقد فقد زوجته منذ سنين عديدة وانغلق على نفسه في الجناح الغربي من القصر. أثارت كل هذه المعلومات انتباه ماري ولكنها زادت من حزنها أيضاً. شعرت بالأسف تجاه خالها، أرشيبالد كرافن. انتهت الرحلة عند محطة ثويت حيث كانت غربةً تنتظر ماري والسيدة ميدلوك.

في الطريق إلى قصر ميلستوايت، سألت ماري السيدة ميدلوك: «ما هي الأرض البور؟» «ستجتازينها بعد عشر دقائق. غير أن الظلام حالك، ولن تريها بوضوح.»

بعد بُرهةٍ صار الطريق وعراً.

«نحن على الأرض البور الآن»، قالت السيدة ميدلوك.

ماری تالقی مارتا

في اليوم التالي، استيقظت ماري باكراً وأبصرت الخادمة مارتا راكعة قرب المدفأة. جالت بنظرها في أنحاء الغرفة المظلمة ورأت ورق الجدران المزخرفة بصور غابة. ثم استدارت فرأت نافذة واسعة تطل على تضاريس جبلية كثيرة وبحر أرجواني شاسع، لا توجد فيه شجرة واحدة.

«ما هذا؟» سألت ماري.

«إنها الأرض البور. أتَعْجَبُكِ؟» أجابت مارتا.

«أكرهها!» ردّت الفتاة.

«لست معتادة عليها. ستحبينها. أنا أعشقها. إنها رائعة في الصيف.»

«هل ستكونين خادمتي؟»

«يُمكنك الاعتناء بنفسك!»

«ومن سيساعدني على ارتداء ملابسني؟ لطالما اهتمت بي مربيتي الهنديّة.»

«ألا يُمكنك أن تلبسي وحدك؟ حان الوقت لتتعلمي! فالتعلم في الصغر أفضل!»

«كان الوضع في الهند مختلفاً!»

«حين عرفت أنك آتية من الهند، تصورتك هندية. رفعت غطاء السرير لأتأكد. لست سمراء

بل لونك أصفر!»

«تخيّليني هندية! أنت لا تعرفين شيئاً عن الهند!»

شعرت ماري بغضب شديد ووحدّة قاتلة وأجهشت بالبكاء. راحت مارتا تؤاسيها

وتزجوها أن تغذرها. بعد وقت قليل، هدأت ماري وتوقفت عن البكاء. فتنهدت مارتا وساعدتها على ارتداء ملابسها وهي تحدّثها بلا انقطاع.

وشيناً فشيناً أعارت ماري كلام مارتا اهتماماً. عرفت أن لمارتا أحد عشر أخاً وأختاً. ثم ذهبنا لتلعبا في الأرض البور. أخبرت مارتا ماري عن أخيها الذي يملك مَهراً ويتمتع بسهولة التعامل مع الحيوانات. وتحدّثت أيضاً عن أمها، السيّدّة سويربي. ولكنّ سيكون هو من جذب انتباه ماري قليلاً.

بعد فطور خفيف، نصحت مارتا ماري بالخروج إلى حدائق القصر لأنّ ما من أمر يشغلها في الجناح. كما نبّهتها قائلة: «يُمكنك أن تلعب في كلّ الحدائق ما عدا تلك المغلقة. إنّ السيّد كرافن هو من أغلقها ودفن المفتاح بعد وفاة زوجته.»

أثارت هذه القصة فضول ماري فخرجت وخذها إلى الحدائق.

في الحديقة الأولى مرّج واسع وأشجار وزهور كثيرة. وفي آخرها، حائط وباب أخضر. يُفتّح الباب على حديقة ثانية مغلقة تُؤدّي إلى حديقة أخرى مغلقة. لم تكن ماري تعرف أنها في بستان. رأت فوراً رجلاً عجوزاً آتياً من أحد الأبواب. لم يبداً أيّ منهما سعيداً بروية الآخر.





ابْتَسَمَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ، فَتَفَاجَأَتْ مَارِي. التَفَّتْ صَوْبَ حَائِطِ الْبُسْتَانِ وَأَطْلَقَ صَفِيرًا نَاعِمًا. وَسُرَّعَانَ مَا طَارَ الْعَصْفُورُ وَحَطَّ قُرْبَهُ. حَادَثَهُ الْبُسْتَانِيُّ وَقَالَ لِمَارِي إِنَّهُ «أَبُو الْحِنَاءِ»، وَهُوَ عَصْفُورٌ وَحِيدٌ وَقَدْ فَقَدَ عَائِلَتَهُ.

اقْتَرَبَتْ مَارِي مِنْ أَبِي الْحِنَاءِ وَقَالَتْ لَهُ: «أَنَا وَحِيدَةٌ.» نَظَرَ إِلَيْهَا الْعَصْفُورُ وَعَرَفَتْ مَارِي عِنْدئذٍ أَنَّ هَذِهِ الْوَحْدَةَ هِيَ سَبَبُ حُزْنِهَا.

ثُمَّ سَأَلَتْ الْبُسْتَانِيَّ عَنِ اسْمِهِ. فَأَجَابَهَا الرَّجُلُ: «أَنَا بِنٌ وَيَدْرَسْتَا، وَأَنَا وَحِيدٌ أَيْضًا. إِنَّهُ صَدِيقِي الْوَحِيدُ،» وَأَشَارَ إِلَى أَبِي الْحِنَاءِ.

«لا صديق لي.»

«نَحْنُ نُشْبِهُ بَعْضُنَا إِذَا مَا مِنْ أَحَدٍ مَنَا جَمِيلٌ، وَطِبَاعُنَا حَادَّةٌ كَمُظْهِرِنَا. بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَنَّ مِزَاجَنَا سَيِّئٌ أَيْضًا،» قَالَ بِنٌ بِصِرَاحَةٍ، عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ يُورِكِشِير.

دَفَعَتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الْبَسِيطَةَ مَارِي إِلَى التَّسَاوُلِ: «هَلْ أَنَا سَيِّئَةُ الْمِزَاجِ؟»

فَجَاءَتْ، بِدَأْ أَبُو الْحِنَاءِ يُغَرِّدُ وَيُغَنِّي. ضَحِكَ بِنٌ وَقَالَ: «قَرَّرَ أَنْ يُصْبِحَ صَدِيقَكَ. لَقَدْ أَحْبَبَكَ.» انْدَهَشَتْ مَارِي وَفَرِحَتْ لِسَمَاعِهَا ذَلِكَ. وَأَرَادَتْ أَنْ تَعْرِفَ أَكْثَرَ عَنِ الْحَدِيقَةِ السَّرِيَّةِ فَرَاغَتْ تَطْرَحُ أَسْئَلَةً كَثِيرَةً. طَلَبَ مِنْهَا بِنٌ آخِرًا أَلَّا تَحْشُرَ أَنْفَهَا فِي مَا لَا يَغْنِيهَا وَأَنْصَرَفَ.

سَأَلَتْهُ مَارِي: «مَا هَذَا الْمَكَانُ؟»

أَخْبَرَهَا أَنَّهُ بُسْتَانٌ. فَطَلَبَتْ مِنْهُ مَارِي الْإِذْنَ لِلدُّخُولِ. فَأَجَابَهَا: «نَعَمْ، وَلَكِنْ مَا مِنْ شَيْءٍ لِتَرْيَنَهُ.»

وَفِيمَا كَانَتْ تَتَمَشَّى فِي الْبُسْتَانِ، لَاحِظَتْ مَارِي أَمْرًا غَرِيبًا. فَحِينَ أَرَادَتْ الْخُرُوجَ مِنَ

الْحَدِيقَةِ الثَّلَاثَةِ، لَمْ تَعَثُرْ عَلَى أَيِّ بَابٍ. لَمْ تَرَ سِوَى جُدْرَانٍ حَائِطٍ وَاحِدٍ مُغَطَّى بِنَبَاتَاتٍ يَتَخَطَّى حُدُودَ الْحَدِيقَةِ. تَسَاءَلَتْ مَارِي عَمَّا يَوْجَدُ فِي الْجِهَةِ الْأُخْرَى. رَأَتْ عُصْفُورًا عَلَى قِمَّةِ

شَجَرَةٍ وَرَاءَ الْجِدَارِ، بِدَأْ يُزْقِرُ وَيُغَرِّدُ كَأَنَّهُ يُنَادِيهَا. فَابْتَسَمَتْ لَهُ. لَكِنَّ الْعَصْفُورَ طَارَ بَعِيدًا.

مَا كَانَ يَشْغَلُ بِأَلِ مَارِي سِوَى الْحَدِيقَةِ ذَاتِ الْجُدْرَانِ وَالسَّبَبِ الَّذِي دَفَعَ خَالَهَا يَوْمًا لِإِغْلَاقِهَا. فَعَادَتْ إِلَى الرَّجُلِ الْعَجُوزِ، وَسَأَلَتْهُ وَهُوَ يَحْرَثُ الْأَرْضَ: «زُرْتُ الْحَدَائِقَ كُلَّهَا.

وَرَأَيْتُ أَيْضًا الْبُسْتَانَ، وَلَكِنْ مَا مِنْ بَابٍ لِلْحَدِيقَةِ الْأُخْرَى.»

«أَيُّ حَدِيقَةٍ أُخْرَى؟»

«الْحَدِيقَةُ الَّتِي تَقَعُ فِي الْجَانِبِ الثَّانِي لِحَائِطِ الْبُسْتَانِ. رَأَيْتُ فَقَطْ أَعَالِي الْأَشْجَارِ وَعُصْفُورًا صَدْرُهُ أَحْمَرٌ يُزْقِرُ هُنَاكَ.»

ماري تسمع بكاءً

صارت ماري تخرجُ إلى البرية كُلَّ يوم، وأحياناً تركضُ بسرعة هرباً من الرياح القويّة. وتحسّنتُ صِحَّتُها شيئاً فشيئاً وأصبحتُ تشعُرُ بالجوع أكثر فأكثر. فصارت تأكلُ جِساءها بِشراهةٍ علماً بأنّها لم تكن تُحبُّه أبداً.



لم تتوقّف ماري عن العودة إلى الحديقة المغلقة بحثاً عن الباب السريّ. وذات يوم، رأت العصفور على حائط، وكان يُزقزقُ ويغرّد. ضحكت ماري وراحت تلاحقه وهو يطير. وفي النهاية، حطّ على أعلى شجرة وراء البستان. إنّها الشجرة عينها التي لاحظتها ماري في السابق. تأكّدت ماري حينئذٍ أنّ الحديقة السريّة تقع هناك.

في البيت، ألحّت ماري على سؤال مارتا عن سبب كره السيد كرافن للحديقة. فأخبرتها مارتا أنّ تلك الحديقة كانت المفضّلة عند زوجته الحبيبة. وقد سقطت عن غصن شجرة فيها فأصيبت بجروح كثيرة وتوفّيت على الفور. فأغلق السيد كرافن الحديقة ودفن المفتاح.

جلست ماري هادئة، تنظرُ إلى النار وتُفكّر. لقد حدثت معها أشياء جميلة - كيف تحدثت مع أبي الجنّاء، وكيف تحسّنت صِحَّتُها وصارت تُحبُّ الأكل، وكيف أشفقت على أحدهم. ثم سمعت صوت الهواء وظنّنت أنّ ولداً يبكي في مكان قريب. فسرت لها مارتا أنّه صوت الرياح أو صوت الخادمة في المطبخ وهي تُعاني من ألم في الأسنان.



ثم تابعت مارتا رواية قصص عائلتها لماري. أخبرتها ماري أنها تحب أن تسمع أخبار أم مارتا وديكون. فقالت لها مارتا إن أمها هي شخص لطيف وحنون، أما ديكون فله الكثير من الحيوانات الأليفة ويبدو صبيًا ظريفًا وودودًا. ثم تساءلت مارتا بصوت عالٍ عما يمكن أن يكون رأي ديكون بماري.

«لا يُحبني الناس عادةً»، أجابت ماري.

«اسمعي، كم تُحبين نفسك؟» سألت مارتا.

«أبدًا...» ردت ماري بعد تفكير.

في اليوم التالي، هطلت أمطارٌ غزيرة. لم تقدر ماري أن تخرج إلى الحديقة، فاقترحت عليها مارتا الذهاب إلى المكتبة والقراءة. وافقت ماري وراحت تبحث عن المكتبة. وصلت صدفةً إلى ممرٍ فيه بابٌ مغطى بقماشٍ مزخرف. وسمعت بكاءً وراء ذلك الباب. وقبل أن تكمل طريقها، دخلت السيدة ميدلوك وأمرتها بالخروج فورًا. تأكدت ماري عندئذٍ من وجود شخصٍ في الداخل.

بعد يومين من المطر الغزير، عادت السماء صافية فوق البراري.

قالت مارتا لماري: «يجب أن تخرجي وتزري الأرض البوز اليوم. فيها ورودٌ جميلةٌ وروائحٌ زكيةٌ وفرشاتٌ وعصافيرٌ رائعة.»



ماري تعثر على المفتاح

بعد قليل، عادت مارتا إلى المنزل وراحت ماري تتمشى في الحدائق. توجهت إلى البستان حيث كان بن ويذرستاف يعمل. وقال لها إن فصل الربيع قريب. شمّت ماري رائحة مُمتعة وطيبة. فقال لها بن إنه عطر الأرض الغنية الدافئة تحت أشعة الشمس. وعمًا قريب، ستنبُت نباتات خضراء في الأرض السوداء فتحمل زهورًا كثيرة كالزعفران والنرجس البري وأزهار الثلج. وهذه النباتات بحاجة إلى الوقت كي تنمو. كانت ماري مفتونة بها فقررت أن تراقبها فيما تنمو. وبعد قليل انضم أبو الجناء إليها.

تحادثت ماري بسرور مع أبي الجناء وهو يُغرّد ويطير فوق جدار الحديقة المُسورة وينقر البذور. ثم لاحظت كومة من التراب المقلوب حديثًا وفيه حلقة حديد صدئة، فسحبها - إنه المفتاح! هل يمكن أن يكون مفتاح الحديقة؟ لكنها لم تجد أي باب، فعادت أدراجها إلى المنزل. في اليوم التالي، عادت مارتا من بيتها مُنتعشة حاملة هدية لماري: خبلاً للقفز. راحت ماري تقفز فرحة في أنحاء الحديقة وما لبثت أن وصلت إلى حائط الحديقة المُغطى بنبات

اللبلاب. وفيما كانت تقفز، أحسّت بثقل في جيبها - إنه المفتاح الذي أُبقتّه معها لعلها تكتشف مكان الباب السري.

«لقد ساعدتني لأعثر على المفتاح. ساعدني الآن لأعرف أين الباب»، صرخت ماري للطير وهو يتأرجح على غصن شجرة.

كان خادم ماري الهندي يُخبرها عن الأغاز في كل قصّة. فاعتقدت ماري أن ما يحدث هو لغز. ثم هبت رياح على الممشى، فافتقرت بعض أغصان النبات عن الجدار وما لبثت أن ظهر وراءها مقبض باب.



فرحت مارتا عند سماعها هذا الطلب. وأكدت أنها ستقوم بما يلزم للحصول على الأدوات. في ذلك المساء، سمعت ماري بكاءً. ولكن مارتا أمرتها بالاهتمام بشؤونها فقط. ذهبت ماري لتنام وهي مقتنعة أنها لم تعيش يومًا في مكانٍ أغرب من قصرِ خالها!

أزاحت ماري الأغصان فوجدت بابًا مع ثقبٍ قفلٍ. فأخذت المفتاح من جيبها ووضعتُه في ثقبِ البابِ فدار القفل. تأكدت ماري أن ما من أحدٍ وراءها ثم فتحت الباب وانزلت إلى الداخل بسرورٍ ممتعةً بالمنظرِ وقلبها فرحٌ.

إنها الحديقةُ السريّة! لا يُمكن للعقل أن يتصور مكانًا أجمل وأكثرَ غموضًا منها. فالورودُ والأشجارُ قد نمت وصارت كثيفةً ومُتشابكةً. كانت الحديقةُ كُلُّها متداخلةً ومليئةً بالأعشاب والزهور. رأت ماري بين الورودِ أشواكًا وشعرت أنه يجدرُ بها أن تُزيل الأعشاب الضارة. وهكذا فعلت.

ثم قرّرت ماري أن تُحضِر بعض البذورِ وأدوات البستنة. أرادت أن تزرع هناك. أغلقت الباب بانتباهٍ وهُرعت نحو المنزل. وقالت لمارتا حين رأتها: «قد تكون الزراعة نشاطًا جميلًا في هذا المنزل المنعزل. أتساءل إن كان باستطاعة ديكون أن يُعطيني بعض البذورِ والأدوات.»



ماري وديكون يهتمان بالحديقة

انقضى أسبوعٌ منذ أن اكتشفت ماري الحديقة. وكانت هذه الحديقة السريّة تزدهر تحت أنظار ماري وفي رعايتها: براعمٌ كثيرةٌ تتفتح وتزهر. ذات يوم، نظر بنٌ إلى ماري وقال لها: «يبدو أن ميسلثوايت يناسبك. كنت تشبهين الغراب حين وصلت إلى هنا بوجهك الهزيل والشاحب. وقد زاد وزنك قليلاً الآن.» لم تنزعج ماري. بل، على العكس، راحت تسأل بن عن الورود وما إذا كانت الجافة والبنيّة منها الآن ستزهر في الصيف. وهكذا راحت تسأل وتسال إلى أن تعب بن وقرّر الذهاب.

زهبت ماري أيضاً. وكان يوجد في زاوية إحدى الحدائق دُرْبٌ نمت على جانبيه نباتات الغار ويؤدى إلى الغابة. سلكت ماري هذا الدُرْب ودخلت الغابة، فسمعت صغيراً وتفاجأت بصبيّ ذي عينيّن زرقاوين وخدين حمراوين وأنفٍ صغير. وكان يعزف على الناي فيما يضحى إليه سنجابٌ وعصفورٌ وأرنبان. توقّف الولد عن العزف ونهض على مهلٍ للقاء ماري. فهربت الحيوانات، وأخذ الصبيّ

يحدث ماري وكأنه يعرفها. استغربت الفتاة لأنها تكلم صبيّاً للمرّة الأولى في حياتها. وكانت تفوح منه رائحة البراري وقد أحببها ماري. أعلمها أنه سيكون وأنه جلب لها البذور وأدوات الزراعة.

ثم قال لها: «يُمكِنني أن أزرع لك البذور. أين حديقتك؟» احمرّت وجنتا ماري وأجابته: «سأطلعك على سرٍّ ولكن لا تكشفه لأحد. لقد سرقت حديقة. لا أخذ يعتنى بها غيري، ولن أتركها تموت.» ثم انفجرت بالبكاء. هدأ ديكون من روعها واعدًا إيّاها بحفظ سرّها. فقادته إلى الحديقة وفتحت الباب.

حين دخل الولدان، راح ديكون يتمشى وقال لها: «إن أزلنا الأعشاب اليابسة وخرثنا الأرض حول الأشجار فستزهر الورود في الصيف.» صار الولدان يتنقلان من شجرة إلى أخرى ومن دغلٍ إلى آخر. علّم ديكون ماري كيفية استخدام المعزقة والمجرفة والشوكة. كما لاحظ الزهور التي شذبتّها وهنأها على عملها. «لقد قمت بعملٍ عظيم بالنسبة إلى طفلة صغيرة!» قال ديكون مُبتسماً. فسألته ماري إن كان بإمكانه أن يساعدها في الاعتناء بالحديقة. فوافق ديكون على الفور.





حان وقتُ الغداء. كان ديكُونُ قد جلبَ في حقيبتهِ وَجِبَةً صغيرةً. أمّا ماري فكانَ عليها أنْ تعودَ إلى المنزلِ لتأكلَ.

هُرَعَتْ ماري إلى جناحها بِسُرْعَةٍ فائقةٍ فتورَدَتْ وَجَنَّتَها وانقطعتْ أنفاسُها. وأخبرتْ مارتا أنّها التقتْ بديكونَ وأحبّتْ رِفْقَتَهُ.

تساءلتْ مارتا أينَ يُمكنُ لماري أنْ تزرعَ بذورها: «رُبّما يُمكنكُ أنْ تُكَلِّمي بِنَ ويدرستافَ عن هذا الموضوعِ؟»

أجابتْ ماري: «لنْ ينزعجَ أحدٌ إنْ اخترتُ زاويةً بعيدةً عن الممرّاتِ.»

وافقتْها مارتا. وبعدَ الغداءِ قالتْ لها إنّ السيّدَ كرافنَ يُريدُ أنْ يراها. شغرتْ ماري بالخوفِ. وصلتِ السيّدَةُ ميدلوكَ، وسرّعانَ ما ألْبستْ ماري أجملَ ثيابها. وبعدَ لحظّاتٍ، وقفتْ ماري أمامَ السيّدِ كرافنَ.

«سيّدَةُ ميدلوكَ، اتركيْنا على انفرادٍ من فضلكِ. سأرُنُّ الجرسَ حينَ يُمكنكُ أنْ تأخذيها.» كانَ السيّدُ كرافنَ رجلاً ذا كَتْفَيْنِ عريضَيْنِ ومنخنيْنِ، ولم يكنْ أحدبَ حقاً. اقتربتْ منه ماري ولاحظتْ أنّ ملامحَ وجهِهِ لا تدلُّ على السَّنِّ المتقدِّمِ بلْ على الحُزْنِ.

«كيفَ حالِكِ؟ هلْ يهتمّونَ بكِ جيّداً؟ لقد نسيْتُكِ. كنتُ أفكّرُ بمرّيّةِ لكِ.» استجمعتْ ماري قواها وأجابتهُ: «أنا في حالٍ خسنةٍ. أرجوكِ، لا أريدُ مرّيّةً. أنا صغيرةٌ جدّاً وأريدُ أنْ ألعبَ في الخارجِ. هكذا أشعرُ بالرّغبةِ في تناولِ الطعامِ. ها إنّي أكبرُ وأنمو، هلْ يُمكنني زيارةَ أمّ مارتا؟»

«لا تخافي يا ابنتي. يُمكنكُ أنْ تفعلِي ما يحلو لكِ. أتريدينَ شيئاً آخرَ؟»

«هلْ يُمكنني أنْ أخذَ قطعةَ أرضٍ صغيرةٍ لحديقتي؟»

«خُذي قدرَ ما تشائينَ» أجابَ السيّدُ كرافنَ وفي عينيه نظرةَ حنانٍ.

دقَّ الجرسُ فأتتِ السيّدَةُ ميدلوكَ لتأخذَ ماري. أعلمها السيّدُ كرافنَ أنّه لنْ يطلّبَ مرّيّةً، ويجبُ أنْ تكبرَ الفتاةُ وتنموَ قبلَ أنْ تبدأَ دروسها. وأضافَ إنّ السيّدَةَ شويربي يُمكنُ أنْ تزورَهُمَ كما يُمكنُ لماري أنْ تذهبَ لزيارتها. أخيراً قالَ إنّ سيغيّبُ بضعةَ أشهرٍ. فيما بعدُ قالتْ ماري لمارتا إنّ السيّدَ كرافنَ لطيفٌ على الرّغمِ من حُزْنِهِ العميقِ.

ماري تلتقي كولن

في تلك الليلة بدأ المطر بالهطول. كانت ماري أكيدة من سماعها البكاء من جديد. لكن هذه المرّة، تناولت شمعةً وذهبت تبحث عن بابٍ مغطى بورق الجدران. وحين اكتشفت الباب، فتحتّه بهدوء. رأت غرفةً كبيرةً في وسطها مدفأةً صغيرةً ونورٌ بجانب سرير. وكان هناك صبيٌّ يتمدّد على السرير يبكي بحزنٍ وأسى. كان وجهه هزيلًا وشاحبًا. عبرت ماري الغرفة على رؤوس أصابعها. سمع الصبيُّ خطواتها فخاف واستدار نحوها.

«هل أنت شبح؟»

«لا، وأنت؟»

«أنا كولن كرافن، وأنت من...؟»

«ماري لينوكس. السيد كرافن خالي..»

«إنه أبي..»

«لماذا لم تخبرني أحدٌ عنك؟»

طلب كولن من ماري الاقتراب منه. كانت عيناه كبيرتين وخضراوين ورموشه سوداء. وحين اقتربت ماري منه، مدّ يده ولمس ثوبها الصوفي وقال: «كنت خائفًا من أن تكوني حلمًا.»

«كلُّ شيءٍ في هذا المنزل مغلقٌ وسريٌّ. هل أقفلوا عليك أيضًا؟» سألت ماري.

«كلا. لا أحبُّ أن أرى الناس. لم يجرؤ أحدٌ على إخباري بقدمك. إني أبقى هنا دائمًا. يتعبني التنقل.»

ثمّ أطلع كولن ماري على مرضه وأنه أحبُّ ولن يعيش طويلًا. فقد توفيت أمه بعد ولادته وأبوه يحزنُ لرؤيته، ولذلك لا يزوره إلا عندما ينام. الجميعُ طبيعُهُ لأنهم يعتقدون أنه سيموت قريبًا.

وطلب كولن من ماري البقاء، فأخذت تحدّثه عن حياتها في الهند وسفرها إلى ميسلثوايت وحياتها هنا.





رؤيتك، سأعلمُ مارتا فتناديك.»
 تمدد كولن على السرير فرحاً. وراحت ماري تُغني له ترنيمةً هنديةً فهذا رُوعه. بعد
 قليل، غفا كولن فخرجت ماري من الغرفة.
 في صباح اليوم التالي، قصت ماري على مارتا المتفاجئة أحداث الليلة السابقة.
 «يُريد أن يكلمني كل يوم. عليك أن تُناديني كلما طلب ذلك.»
 «سأخسرُ وظيفتي! يجدرُ بي الذهاب، دق الجرس.»
 عادت مارتا بعد عشر دقائق مُضطربة. «لقد سخرتي! إنه يُطالبُ بك. لا يجب أن يعرف
 أحدٌ بذلك. لقد طلب من الممرضة أن لا تعود قبل الساعة السادسة مساءً. وبالتالي، يجدرُ
 بي البقاء معه.»
 ذهبت ماري مع مارتا لرؤية كولن فوجدته جالساً على السرير مرتدياً ثيابه. وكان
 يبدو أفضل حالاً من المرة السابقة.

عندما سألتها عن عمرها أجابته إنها في العاشرة، مثله تماماً. تفاجأ وسألها كيف عرفت
 ذلك. فانزلت الكلمات من فم ماري وأخبرت كولن عن الحديقة المغلقة والمفتاح المخبأ
 منذ ولادته. سحرت الحديقة المغلقة خيال كولن فأراد العثور على المفتاح واكتشافها.
 «سأفتح هذه الحديقة. فليخملوني على الكرسي لأتنشق بعض الهواء النقي!» أعلن كولن
 بابتهاج وعيناه تلمعان.
 رسمت ماري صورة «مُحتملة» للحديقة، محاولة عدم الكشف عن زيارتها إليها. ثم
 تحدثت عن أبي الجناء والورود والزهور. ثم رجت كولن قائلة: «أرجوك، لا تُخبر أحدًا. إذا
 وجدنا المفتاح، تُصبح الحديقة مكاننا السري. ألن يكون ذلك رائعًا؟»
 ثم كشف لها كولن عن صورة أمه. فرفع ستارًا سميكًا وبانت صورة امرأة مبتسمة.
 لاحظت ماري أن عيني كولن تشبه عيني أمه، وسألته: «لماذا تُغطيها؟»
 أجاب كولن: «أغضب حين أرى ابتسامتها. لماذا توقيت؟» ثم أعلن بحزم: «كلما أردت

حين خرجت مارتا، قالت ماري لكولن إن تصرفه يليق بالملوك. وأضافت إنه مختلف جداً عن ديكون. أثار موضوع ديكون فضول كولن فراح يسأل عنه. أخبرته ماري عن تعامل ديكون المميز مع الحيوانات وقدراته في الزراعة والبستنة وغير ذلك.

ثم راح الولدان يتصفحان كتب الرسم ويسترسلان في الأحاديث. ضحكا وتسليا تماماً كأبي طفلين طبيعيين وبصحة جيدة. فجأة، دخل الطبيب كرافن، وهو ابن عم والد كولن، ترافقه السيدة ميدلوك.

تفاجأ الاثنان بوجود ماري في الغرفة، إلا أن كولن قال بصراحة إن ماري ابنة عمته وهي هنا نزولاً عند طلبه.

قال له الطبيب إن عليه الاستراحة لأنه مريض.

«أريد أن أنسى مرضي، وهي تُنسيني إياه. أريدها أن تبقى معي»، أردف كولن بعناد. وافق الطبيب في النهاية على بقاء ماري مع كولن وذهب مع السيدة ميدلوك. بعد قليل، شرب الطفلان الشاي وتناولوا الكعك الساخن. وكانت ماري تتكلم عن مهرجات الهنود.



كولن يلتقي ديكون

بعد أسبوعٍ من المطر الغزير، لمعت الشمس في السماء الصافية. نظرت ماري في المرأة فرأت أنه قد حدثت في الحديقة تغييرات جميلة. وتساءلت إن كان باستطاعة كولن الاستفادة من الحديقة مثلها.

وفي أحد الأيام، طرحت ماري على كولن فكرة لقاء ديكون. فوافق على الفور. بعد وقتٍ قليل، ذهبت ماري إلى الحديقة السرية حيث التقت بديكون والغراب «سوت» والثعلب «كابتن».

أفصحت له عن رغبة كولن. وكان يعلمُ بأمره بالطبع - مثل أهل القرية كلها. وعندما أخبرته أن كولن يقول إنه ينسى مرضه بفضلها ابتسم ديكون وقال: «أعتقد أن كولن سينسى مرضه وخذبته إذا زار هذه الحديقة ورأى النباتات تنمو. ألا يودُ المَجيء؟» أومأت ماري برأسها بالإيجاب وتساءلت كيف يُمكن لهما إحضاره من دون أن يكتشف أحد الحديقة السرية.

عادت ماري إلى البيت وكان الوقت متأخرًا. بدت مارتا قلقة. ولما رأتها هتفت: «انتظرك كولن طويلًا وانفجر في نوبة غضب. إن مزاجه سييء جدًا.»

ذهبت ماري إلى كولن، فوجدته في غيظٍ شديد، فقال لها: «إذا كنتِ تُمضين الوقت مع ديكون، فسأمنعه من الدخول إلى هنا.»

غضبت ماري وقالت له: «إن قمتُ بهذا لن آتي أنا إلى هنا أبدًا!» تشاجر الولدان لكن شجارهما انتهى حين رمى كولن وسادة على ماري التي خرجت مُستاءة.

لاحقًا في الليل، عانى كولن من نوبات الهستيريا. سمعت ماري صراخه وبكائه ولم تقدر على تحمّلها.

فتوجّهت إلى غرفته: «كفى، أكرهك. الجميع يكرهك. ستزعم حتى الموت. أتمنى لك ذلك!»





«لا يُمكنني أن أتوقّف. أشعرُ بالحدبة».

«سيدتي، أريدُ أن أرى ظهره فورًا»، قالت ماري للممرضة.

عابنت ماري ظهر كولن بعناية، كطبيبٍ شهيرٍ من لندن. وأكدت له أن ما من شيءٍ غير عاديٍّ في ظهره وأنها ستنفجرُ ضحكًا إذا تطرّق مرّةً أخرى إلى موضوع الحدبة. أصغى كولن إلى كلام ماري وشعر أنها تقول الحقيقة. ردّدت الممرضة أن ظهره ضعيفٌ ولكن من دون حدبة.

«أعتقدين أنني سأبقى على قيد الحياة؟»

أجابت ماري: «نعم، شرط أن تُسيطر على مزاجك وتخرُج لتتنفّس هواءً نقيًا».

وافق كولن على فكرة ماري. وخرج الجميع من الغرفة إلا هي. أخذت بيد كولن وراحت تصفُ بنعومة الحدبة السريّة. غفا كولن على صوتها.

في صباح اليوم التالي، استيقظت ماري متأخرة. زارت كولن قبل أن تخرج إلى الحدبة.

كان يكون هناك. أطلعتّه عمّا حدث في الليلة السابقة.

لاحظت بسهولة شعور كولن بالأسى تجاه كولن.

«يجبُ ألا نُضيّع الوقت. يجبُ أن نُخرجه إلى الهواء الطلق ليزرى الشمس».

«أجل. سأسأله إذا كان باستطاعتك أن تأتي لرؤيته غدًا. أخضِر معك السُنجابين «نات»

و«شيل». ثمّ نأتي به إلى هنا. يُمكنك أن تدفع بكرسيّه».

حين رجعت ماري فيما بعد لتري كولن، قال لها: «عطرُك طيب. ما هذه الرائحة الزكيّة؟»

«إنّه هواء البراري. إنّها نفحة الربيع وأشعة الشمس والوقت الذي أمضيته مع «كابتن»

و«سوت» و«نات» و«شيل»».

بقي كولن هادئًا فيما كانت ماري تُحدّثه عن حيواناته ويكون وأيامها معه.

«لكم أحببتُ أن يكون لي أصدقاء كثيرون. ولكنني الآن أحبُّك. وأريدُ أن ألتقي بك».

«يسرّني أن تقول هذا... هل تحفظ سرًّا؟»

«نعم».



«حسنًا. سيأتي ديكون إلى هنا غدًا مع حيواناته.»

ثم أخبرته عن الحديقة السرية.

فتح كولن عينيه مُحدقًا في البعيد. كان فرحًا لفكرة رؤية الحديقة في وقت قريب.

في اليوم التالي، كانت مفاجأة سارة بانتظار الطبيب كرافن. دخل إلى غرفة كولن ولم يجده شاحبًا ولا مُمددًا فوق السرير غارقًا بالبكاء، بل وجدته جالسًا على الأريكة يطلب الخروج لتنشقي الهواء، ولم يمنعه من ذلك.

تناول كولن وماري وجبة الإفطار، ثم وصل ديكون وبين ذراعيه حمل حديث الولادة. أما «شيل» و«نات» فكانا على كتفيه بينما وقف «كابتن» إلى جانبه وخرج «سوت» من جيبه. حسن كولن وضعيته جلوسه مُحدقًا. فتقدم ديكون نحوه ووضع الحمل على ركبتيه،

فصار الحيوان الصغير يختبئ بين طيات الملابس، قبل أن يُعطيه ديكون بعض الحليب. استرسل الأولاد بالحديث عن الحديقة السرية، وكان ديكون يردُّ على كافة أسئلة كولن. تصفحوا معًا مجموعات الزهور، وكان ديكون يعرف الاسم المحلي لكل وردة.

«سأزورها قريبًا»، قال كولن.

«بالطبع. ومن دون تأخير!» قالت ماري.

كولن يزور الحديقة السرية

وضع الأولاد الثلاثة خططًا سرية عديدة، فمن المهم أن يدخلوا الحديقة السرية من دون أن يراهم أحد. ولذلك طلب كولن من «روش»، المسؤول عن عمال الحديقة، أن لا يبقى أحد من العمال في الخارج عندما يخرج من المنزل.

في فترة ما بعد الظهر، دفع ديكون بالكُرسي بقوة طوال الطريق إلى الحديقة فيما مشّت ماري قربة. أما كولن فراح ينظر وهو على كرسيه إلى السماء الزرقاء والغيوم المتناثرة. وصل الأولاد إلى الحديقة السرية، ورأى كولن الحائط المغطى بالأوراق الخضراء وبينها أعشاب ذهبية وبنفسجية وبيضاء ووردية وخضراء. وكانت رائحة طيبة تفوح في الهواء والعصافير تزقزق والنحل يطن. وكانت الشمس تلمع وترسل حرارتها إلى الأرض. احمرّ خدًا كولن فهتف: «صحتي تتحسن. سأعيش إلى الأبد.»

قرر كولن زيارة الحديقة كل يوم. وأراد أيضًا أن يزرع ولكن ساقبه كانتا ضعيفتين وترتجان كلما نهض.

«ستتمكن من الوقوف حين تتغلب على الخوف»، قال ديكون مطمئنًا.

فجأة، نظر بن ويذرستاف من فوق الحائط ولمح الأولاد. فأنب ماري على دخولها إلى الحديقة السرية.

وقبل أن تجيبه الفتاة، صرخ كولن: «أتعرف من أنا؟»

أجابه بن: «عينك كعينني والدتك. وبالتالي أنت كولن، ولكن كيف وصلت إلى هنا. ألسنت مُقعدًا؟»

استشاط كولن غضبًا وجلس مُستقيمًا ورد بحزم: «لسنت مُقعدًا وظهري مُستقيم.» شعر كولن أن كرامته قد جرحت، حينها حدث ما لا يُصدق: رمى كل شيء وانتصب على قدميه.

«انظر إلي!»

هتف حينئذ بن ويذرستاف قائلاً: «سأذهب لأرّف الخبر للجميع!»

أجابه كولن: «أنا سيدك. لن تتفوه بكلمة لأحد. ستأتي بك الأنسة ماري إلى هنا وتصير شريكًا في السر.»

«نعم، سيدي.»

وفيما ذهبت ماري للبحث عن بن، بقي كولن واقفًا من دون أن يرتجف.

عندما وصل بن إلى الحديقة السرية، عُقد اتفاق بين الجميع: يجب على بن أن لا يبوح بسر الحديقة وتحسن صحة كولن، وأن يساعد في أعمال البستنة في الحديقة السرية.



كولن يتعافى

عندما عادَ الأولادُ أخيرًا إلى البيت، كان الطبيبُ كرافن في انتظارهم. فطلبَ من كولن الاستراحةَ وعدمَ إرهاقِ جسده، ولكنَّ كولن أجابه بفظاظةٍ أنَّ منعهُ من الخروجِ أمرٌ غيرُ منطقيٍّ.

استنتجتُ ماري أنَّ الجميعَ يُطيعُ كولنَ بشكلٍ أعمى فأمسى يجهلُ أساليبَ اللياقة، وعرفتُ أيضًا أنها كانت مثله تمامًا قبل وصولها إلى ميسلثوايت وتعرّفها على بنٍ وديكون.

حين غادرَ الطبيبُ كرافن، قالتُ ماري: «أشعرُ بالأسفِ على الدكتورِ كرافن. لقد بقيَ مُهدبًا تجاه ولدٍ وقَّحٍ لفترةٍ طويلة. فقد كانَ يعتقدُ كالباقيين أنك ستموت. وكان يُشْفِقُ عليكِ وبالتالي يُطيعُك. وأنتِ صرّيتِ مَجنونًا لأنك تفعلُ دائمًا ما يحلو لك.»

بقيَ كولن صامتًا بعضَ الوقتِ ثم ارتسمتُ على وجهه ابتسامة. «ولكن لا أريدُ أن أكونَ ضعيفًا مريضًا. إذا ذهبتُ كلَّ يومٍ إلى الحديقة، سأتحسّن. السرُّ يكمنُ هناك.»

منذ ذلك الحين، أطلقَ الأولادُ اسمَ «اللُّغز» على الحديقة التي صارت تُزهرُ أكثرَ فأكثر: فتفتحت أزهارُ الجَرَيْسِ والرَّنْبِقِ والسُّوسِنِ والمَنْثُورِ الأبيضِ والبَنْفَسِجِ والأقْحوانِ من كلِّ الألوان. كما نمتِ الورودُ في كلِّ زوايا الحديقةِ وحولَ الأشجارِ وقُرْبَ الجُدْران. ملأَ اللُّغزُ المكانَ تحتَ نَظَرِ كولن.

في صباحِ أحدِ الأيام، نادى كولن بنَ وماري وديكون وقال: «سأحقِّقُ أولَ تجربةٍ علميةٍ لي وأقومُ باكتشافاتٍ حولَ اللُّغز. سأردُّ عبارةَ اللُّغزِ في قلبي وهو يُساعدني. سأصبحُ قويًا مثلَ ديكون، هل تساعدوني في إنشادِ هذه الكلمات؟»

وافق الجميعُ وعملوا باقتراحِ ماري. فجلسوا تحت الشجرةِ وشبَّكوا أرجلهم مثلَ الدراويشِ الهنود. بدأ كولن يتلو: «الحياةُ فاتنةٌ - القوةُ لغزٌ، واللُّغزُ في قلبي. اللُّغزُ في قلبي». ثم مشى على مهلٍ حولَ الحديقةِ مُتَكِنًا على ديكون ولحِقَهُ الآخرون. نجحَ في التقدُّمِ بِضَعِ خُطواتٍ بمُفرده. وعادَ إلى الشجرةِ وهو يشعرُ بالانتصار.

«تفوّقتُ في تجربتي العلميةِ الأولى. ولكن ينبغي ألا أعرفَ أحدًا بذلك. سأتنقُلُ على الكرسيِّ إلى أن أتمكنَ من المشي والركضِ كباقي الأطفال. أريدُ أن أفاجئَ أبي. سأصبحُ أيضًا رياضيًا. وقبل ذلك، سأصبحُ باحثًا علميًا!»



تجدر إعجابُهُ باللُّغز. علّمه ليكون أيضًا بعض تمارين العضلات كي يُصبح أقوى. ومنذُ ذاك النهار، صار اللُّغز والريضة جُزءًا لا يتجزأ من يومياتهم. كانوا يأكلون بشرهة كل ما تُرسلُهُ لهم السيّدة سويربي. وبسبب ذلك، كانوا يتفادون تناول الطعام أحيانًا في البيت كي يغشوا السيّدة ميدلوك والمرضة والطبيب كرافن. تحسنت صحّة كولن وأصبح الادّعاء بالعكس يُتعبُهُ لأنّه كان يعلم في صميم نفسه أنّه تغيّر.

«أتمنى أن يعود أبي. أريد أن أبشّره بالخبر السارّ بنفسى.»

ذات يوم، لاحظت ماري أنّ السّتارة أبعثت عن صورة والدة كولن. فقال لها كولن: «لم تعدّ ابتسامتها تُزعجني. ذات مرّة، انعكس ضوء القمر على السّتارة وبدا أنّ اللُّغز يغمُرُ العُرفة. سحبْتُ الحبل، ورأيتها مُبتسمة. شعرت أنّها فخورة بي وأنا واقف. أظنُّ أنّها كانت هي أيضًا شخصًا فاتنًا.»

فيما بعد، تحدّثت السيّدة سويربي مع ديكون وعلّمت منه بالقصة الشّيقة حول الحديقة السريّة وكولن وتعافيه. فطلبت منه أن يأخذ قنينة من الحليب الطازج وسلّة كعك أو خبز لكولن وماري كل صباح.

شكّل حفظ سرّ الحديقة وقُدرة كولن على المشي مهمّة كبيرة لكولن وماري. وغالبًا ما كان الولدان يضحكان ويُدمدمان فرحين مسرورين. وكان كولن يبدو أفضل حالًا: فقد امتلأ وجهه ولكنّه بقي على الكرسي المتحرّك. وتساءل الجميع عمّا يحدث.

وحيث أخذ الطبيب كرافن نبضه، قال له: «ستكون بحال أفضل بكثير. يجب أن نكتب إلى أبيك.»

غير أنّ كولن لم يوافق ولم يُبشّر الطبيب إلى الموضوع بعد ذلك.

كانت حلقة الأولاد تجتمع كل يوم حول الشجرة ويردّد الجميع الأنشودة. ثمّ، يجول كولن في الحديقة قليلًا. ومن يوم إلى آخر، راحت قوّته تزداد وصار يمشي لفترة أطول.



كولن يلتقي والده

فيما كانت الحياة تعود إلى الحديقة ويكبر الأولاد، كان السيد كرافن يُسافر من بلد إلى آخر حاملاً معه خُزْنه. وذات مرّة، خلال زيارته لمنطقة تيرول في النمسا، راح يتنزّه في الخارج وجلس قُرب جدول نهر صغير وأخذ يفكّر. مرّت في رأسه أمورٌ جميلة طردت الأفكار البشعة. شعر بالحيويّة والهدوء.

ومع أنه أكمل سفره، إلا أنه كان يشعرُ بسلامٍ داخليٍّ أكبر وبنوعٍ من النُشاط. وتدرّجياً أصبح أكثر حيوية، تمامًا مثل الحديقة في ميسلثوايت.

ذهب في فصل الخريف إلى بحيرة «كومو» في إيطاليا. صار نومُه هنيئًا وجسده وروحه أقوى. غرّق في التفكير بميسلثوايت والعودة، ولكن ما برح يشعرُ بألمٍ في قلبه كلُّما تذكّر ابنه الشاحب، والمريض، والمُحتَضِر.

وفي ليلةٍ جميلة، جلس على ضفافِ البُحيرة وغفا. كان أكثر هدوءًا من العادة. حلم بمكانٍ تملؤه الزهور. وناداه صوت. هو صوت زوجته. «آرشي! آرشي!»





«ليلياس! أين أنت؟»

«في الحديقة.»

انتهى الحلمُ هنا ونام السيدُ كرافن نومًا عميقًا طيلة الليل. وحين استيقظ، تذكرَ الحلمَ والكلمات، «في الحديقة». في اليوم التالي، وصلته رسالةٌ من السيدة سويربي:

«سيدي العزيز،

أرجو أن تعودَ إلى المنزل. أنا أكيدة أنك ستفرح. لو كانت زوجتك هنا لكانت طلبت ذلك منك.

خادمتك المطيعة،

سوزان سويربي»

قرأ السيدُ كرافن الرسالة مرتين وقرّر العودة إلى إنكلترا. وبعد بضعة أيام عاد السيدُ كرافن إلى يوركشير. تذكرَ الماضي. لم يكن ينوي أن يُصبح والدًا سيئًا، ولكنه لم يشعُر

يومًا بالأبوة. وها هو الرجل الذي 'عاد إلى الحياة' يفكر بعُمق وبشكل مختلف. لربّما كان على خطأ؟ هل فات الأوان بعد عشر سنين؟

حين وصل إلى القصر، أخبرته الخادمة أنه يبدو في حال أفضل. توجه إلى المكتبة ونادى السيدة ميدلوك. وكانت مسرورة ومُتحمّسة.

«كيف هي حال السيد كولن؟»

«إنه... مختلف، إن جاز التعبير. والواقع أنه غريبٌ ويبدو في حال جيدة وتحسّنت شهيتُهُ كثيرًا. يُحبُّ ماري وديكون وحيواناته ويمضي نهاره في الحديقة. لا يمكن لأحد أن يراه حين يخرج. إنه هناك الآن.»

رَنَّتْ عبارة 'في الحديقة' في أُذُنَيْهِ. إِنَّهَا الكَلِمَاتُ غَيَّنُهَا الَّتِي سَمِعَهَا فِي الحُلْمِ. خَرَجَ السَيِّدُ كِرَافِنُ وَكَانَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ. وَفِيمَا كَانَ يَقْتَرِبُ مِنَ الحَدِيقَةِ، كَانَ يَعْرِفُ مَكَانَ البَابِ بِالتَّحْدِيدِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَسَاءَلُ عَنِ مَكَانِ المِفْتَاحِ. تَوَقَّفَ وَأَصْغَى جَيِّدًا. هَلْ يَحْلُمُ؟ كَانَ بِاسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَسْمَعَ وَقَعَ خُطَوَاتِ.

تَسَارَعَتِ الخُطَوَاتُ وَفُتِحَ بَابُ الحَدِيقَةِ فَجَاءَتْ. رَكَضَ صَبِيٌّ وَهَرَعَ نَحْوَ السَيِّدِ كِرَافِنِ. أَخَذَ السَيِّدُ كِرَافِنَ الوَلَدَ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ وَتَأَمَّلَهُ. إِنَّهُ صَبِيٌّ جَمِيلٌ، طَوِيلُ القَامَةِ، يُشِعُّ صِحَّةً وَحَيَاةً وَيَمْرَرُ أَصَابِعَهُ فِي شَعْرِهِ إِلَى الخَلْفِ. عَيْنَاهُ خَضِرَاوَانُ وَرُمُوشُهُ سَوْدَاءُ. تَنَهَّدَ السَيِّدُ كِرَافِنَ. لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ ذَلِكَ أَبَدًا. انْتَصَبَ كَوْلنَ.

«أبي، أَنَا كَوْلنَ. لَنْ تُصَدِّقَ. أَحْيَانًا يَصْعُبُ التَّصْدِيقُ حَتَّى عَلَيَّ. إِنَّهُ تَأْثِيرُ الحَدِيقَةِ. إِنَّهَا فَاتِنَةٌ. كَانَ كُلُّ مَنْ مَارِيَ وَدِيكُونَ وَكَذَلِكَ الحَيَوَانَاتُ حَاضِرِينَ. تَفَوَّقْتُ عَلَى مَارِي فِي سِبَاقِ الرِّكْضِ. سَأَصْبِحُ رِيَاضِيًّا.»

«خُذْنِي إِلَى الحَدِيقَةِ وَأَخْبِرْنِي كُلَّ التَّفَاصِيلِ،» قَالَ السَيِّدُ كِرَافِنَ آخِذًا بِيَدِ كَوْلنَ.



قادوه إلى الحديقة. وبهدوء، سَحَرَهُ ازدهارُ الألوانِ وتفتُّحُ الأزهار. جَلَسُوا تحت الشجرة، وبقِي كولن واقفًا يتلو القِصَّة. ضَحِكَ السَيِّدُ كرافن وبكى قليلاً. فالرياضيُّ والباحثُ العِلْمِيُّ شَخْصٌ لطيفٌ ومُسلٍّ ومُتعاَفٍ.

«أبي، أريدُ أن أمشيَ معك إلى البيت. من الآن فصاعدًا لن أَسْتَعْمِلَ الكُرْسِيَّ المُتَحَرِّك.»
كانتِ السَيِّدَةُ ميدلوك تَحْتَسِي الشايَ مع بِنٍّ ويذرستاف في غُرْفَةِ الخَدَم. صَرَخَتْ وتجمَّعَ الخَدَمُ عند الشُّبَّاكِ يَنْظُرُونَ إلى الخارج. رأوا السَيِّدَ كرافن والسَيِّدَ كولن يمشيان معًا وماري تَتَبِعُهُمَا. بدا سَيِّدٌ ميسلثوايت في أَفْضَلِ حالٍ بينما مشى السَيِّدُ الأصغرُ كولن إلى جانبه بِخُطُواتٍ كبيرةٍ وحازمةٍ كباقي أطفالِ يوركشير.
هذا هو لُغْرُ الحديقةِ السريَّةِ، لُغْرٌ بَعَثَ الفرحَ في ماري وكولن والسَيِّدِ كرافن.



الحديقة السرية

... بعد فطورٍ خفيف، نصحتْ مارتا ماري بالخروج إلى حدائق القصر لأنَّ ما من أمرٍ يشغلها في الجناح. كما نبهتها قائلة: «يُمكنك أن تلعب في كلِّ الحدائق ما عدا تلك المغلقة. إنَّ السيد كرافن هو من أغلقها ودفن المفتاح بعد وفاة زوجته.»

أثارت هذه القصة فضول ماري فخرجت وخذها إلى الحدائق في الحديقة الأولى مرَّجٍ واسعٍ وأشجارٍ وزهورٍ كثيرة. وفي آخرها، حائطٌ وبابٌ أخضرٌ يفتحُ البابَ على حديقة ثانيةٍ مغلقةٍ تُؤدِّي إلى حديقةٍ أخرى مغلقة. لم تكن ماري تعرفُ ...

صدر من هذه السلسلة:

- كنوز الملك سليمان
- أوليفر تويست
- ديفيد كوبرفيلد
- رحلة إلى باطن الأرض
- أحذب نوتردام
- الحديقة السرية
- عائلة روبنسون السويسرية
- أطفال سكة الحديد
- توم سوير
- عشرون ألف فرسخ تحت الماء
- الفرسان الثلاثة
- كتاب الأدغال

ISBN: 978-9953-37-941-8



9 789953 379418

تم تصنيف هذه القصة وفق معايير «عربي 21» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي، وقد صنّف مستوى «ص»، «متقن أدنى» السنة السابعة والثامنة



ص

أكاديميا